ولكن "محمود" كان في حالة من القلق على مستقبل العملية السلمية، حيث أن رابين بقوة شخصيته، وتاريخه الحافل في خدمة إسرائيل وصناعة استمراريتها كان الأقدر على السير بها في طريق العملية السلمية.

عملية اغتيال رابين قلبت نتائج استطلاع الرأي في الشارع الإسرائيلي، فقبل الاغتيال كانت تلك الاستطلاعات تشير إلى تقدم اليمين على اليسار في الانتخابات القادمة التي اقترب موعدها وبصورة تؤكد احتمالية فوز اليمين بالحكم بعد الاغتيال؛ ولأن القاتل كان محسوباً على اليمين المعارض لخط رابين وسياسته، انقلب الشارع الإسرائيلي، وتحولت استطلاعات الرأي لصالح اليسار بحيث أصبحت هذه الاستطلاعات تشير إلى فرص فوز "شمعون بيرس" خليفة رابين وحزبه في الانتخابات القادمة.

يحيى مختفٍ في أحد البيوت، في مشروع بيت لاهيا السكني. المخابرات الإسرائيلية نجحت في تحديد هذا البيت، وأوصلت عن طريق أحد عملائها جهاز هاتف نقال لصاحب البيت فأصبح الجهاز تحت تصرف يحيى الذي استخدمه للاتصال بعائلته في الضفة الغربية. حدث عطل في الجهاز، فأخذه صاحبه للتصليح، ثم أعيد ليحيى ليتصل بوالده.

يوم الجمعة (١٩٩٦/١/٥) ومع أول كلمات يتفوه بها انفجر الجهاز وهو يضعه على أذنه، ففجر رأسه، وسجلت بذلك المخابرات الإسرائيلية نجاحاً باهراً في حربها ضد المقاومة، وبذلك سارع صاحب الدار ليتصل بالمجاهدين ليخبرهم بالمصيبة التي حدثت، فسارع عدد منهم من بينهم إبراهيم إلى البيت في بيت لاهيا ليعاينوا ما حدث، وترقرقت الدموع في العيون.

خلال ساعات كان الخبر قد وصل إلى كل بيت من بيوت الوطن، الذي يعشق يحيى من أعماق قلبه، فقد حلّ يحيى المهندس يحيى عياش في نفوس وقلوب المعذبين في فلسطين، والمحبين على امتداد العالمين العربي والإسلامي، وحرك مشاعر العزة والكرامة التي لم تتحرك منذ أمد بعيد، حين تمكن من دك معاقل العنهجية في عقر دارها، زارعاً الرعب والهلع في النفوس، مسجلاً أرقام معادلة جديدة في الصراع مع الاحتلال الغاشم. انتشر الخبر انتشار النار في الهشيم، وخرجت الجماهير في كل الوطن إلى الشوارع تسأل وتحاول التأكد لا تكاد تصدق ما تسمع، فقد غدا يحيى أسطورة وتصرخ وتهتف وتهلل.

في اليوم التالي خرج قطاع غزة عن بكرة أبيه ليودع يحيى إلى مثواه الأخير، تحولت غزة إلى بحر متلاطم الأمواج من الجماهير، تودع الشهيد تهتف للشهداء بالفداء وبالروح وبالدم، وتصرخ الانتقام الانتقام..يا كتائب القسام.